مبدأ الثواب والسعادة

تخبرنا المعتقدات الدينية بأن هناك مبدأ الثواب والعقاب، ومن خلال أعمال كل إنسان خيراً كانت أو شراً، لا بد من نتائج تترتب على كل فعل. ولكن كيف يفهم الناس هذا الاعتقاد؟ وإذا كان هناك جزاء على كل الأعمال في الحياة، لا بد أن يكون الشقاء مصير من يعمل شرًا، والسعادة مصير من يعمل خيرًا.

حين يسلم الناس بهذه الحقيقة تخف عنهم وطأة الألم، وتتضاعف جهودهم لعمل الخير لتحصيل السعادة في الحياة الآخرة. "هل حدث أن زرع إنسان قمحاً وحصد شعيراً، أو زرع شعيراً ثم حصد قمحاً؟ هذا غير ممكن. الأولياء والأنبياء جميعاً قالوا: إن جزاء الإحسان هو الإحسان وجزاء السوء هو السوء".[101]

كل الأديان والمعتقدات تؤكد على حتمية القصاص، حتى وإن اختلفت الوسائل في تفسير ذلك.

(طوبى للودعاء. لِأَنَهُم يرثون الأرض. طوبى للجياع والعِطاش إلى البر لأنهم يُشبَعُون. طوبى للرحماء.لِأنهم يُرحَمون. طوبى للِأنقياء القلب لِأنهم يعاينون الله. طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يدعون) [إنجيل متى 11،6]

(فمن يعمل مِثقال ذرة خيرا يرَهُ. ومن يعمل مِثقال ذرةٍ شرا يرهُ) [الزلزلة/7 ،8].

حتى في حالات العجز والضعف التي يختبرها الإنسان يتخلص من المشاعر المؤلمة لمجرد إيمانه المطلق بمبدأ الثواب والقدر. (ولنبلونكم شيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) مع هذا الإيمان المطلق بحكمة الله يختفي لدى المؤمن كل شعور

[101]- جلال الدين الرومي ص 13.

بالعجز أو الخوف أو التذمر ويصبح الصبر نوع من السعادة (إنما يوفي الصابرون أجرهم بغير حساب)(الزمر 10)

ففي الديانات هناك مبدأ الثواب على أعمال الخير والعقاب على أعمال الشر حتى لو اختلفت الصورة بين معتقد وآخر.

ولكن الهندوس في البداية لاحظوا من واقع الحياة أن الجزاء أحياناً قد لا يقع، فالظالم قد ينتهي دون أن يُقتص منه، والمحسن قد ينتهي دون أن يلقى الإحسان بالمقابل، ولهذا كانت عقيدة التناسخ عندهم هي المخرج من هذه الشكوك. فالروح الشريرة التي خرجت من الجسم ولا تزال لها أهواء وشهوات مرتبطة بالعالم المادي فلا بد أن تُحاسب في عالمها الجديد، فتنحدر إلى أدنى المستويات، كأن تُصبح حيواناً أو جمادا مثلاً، حسب ما تستحق من قصاص. وحين تكون أعمال الإنسان بعيدة عن كل شهوة أو ميل، وكانت خيرة بعيدة كل البعد عن الآثام والشر، حينها تترقى وتنطلق لتمتزج بالعالم الإلهي وهو عالم السعادة المطلقة.